المقالات

التربية الإعلامية والأسرة: الأهمية والأسس ومقترحات عملية للآباء والأمهات

أ. د. هشام المكي

باحث في قضايا الإعلام والتواصل والقيم

أستاذ الإتصال بالمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

المقدمة:

لم تعد مؤسسات التنشئة الاجتماعية تقتصر على الأسرة والمدرسة والمجتمع أو الشارع؛ بل أصبح الإعلام أيضاً مؤسسة للتنشئة الاجتماعية، نظراً للوقت الطويل الذي يقضيه الأطفال أمام شاشات التلفاز ومع الألواح الذكية، ونظراً أيضاً للتأثير الكبير للمضامين الإعلامية على أخلاق الأطفال وسلوكاتهم. وهو الأمر الذي يدركه الآباء والمربون، ويمتعضون منه، بل إن بعض الآباء يربطون عملياً بين ضعف التحصيل الدراسي لأبنائهم وإفراطهم في استخدام تكنولوجيا الاتصال. لكنهم في المقابل لا يجدون من يحدد لهم الطريقة الصحيحة لاستخدام وسائل الإعلام والاتصال، ولا كيف يمكنهم الإشراف على أطفالهم ومتابعتهم في استخدامهم للإعلام وتكنولوجيا الاتصال، ولا ما هي المهارات اللازم تعليمها لهم.

وتعكس «التربية الإعلامية» اهتمام الباحثين بهذه الحاجيات التربوية التي تقوم على ضرورة حماية الأفراد من التأثيرات السلبية لبعض المضامين الإعلامية. حيث انتبهت العديد من الدول إلى أهمية التربية الإعلامية: مثل أستراليا وإنجلترا اللتين أعدتا برامج رائدة في هذا المجال، أما كندا فقد جعلت التربية الإعلامية مادة إلزامية منذ عام (1987) في التعليم الثانوي، وبدءاً من عام (1995) تم فرضها إلزامياً على كل طلاب الصفوف من الأول إلى التاسع. هكذا أصبحت التربية الإعلامية مادة دراسية أساسية في العديد من بلدان العالم مثل أستراليا وشيلي والهند وإنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي مقابل ذلك، هناك تأخر كبير في تدريس التربية الإعلامية في الدول العربية؛ رغم الوعي المتنامي عند عموم المثقفين ومعظم الآباء والأمهات والمربين بالتأثيرات السلبية للمضامين الإعلامية على الأطفال.

تجاوباً مع هذه الإشكالات والحاجيات، فإننا نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالتربية الإعلامية، ونشر الوعي بها وبأهميتها عند عموم المثقفين، وعند الآباء والأمهات، طمعاً في خلق نوع من الإجماع المجتمعي عليها، وذلك تمهيداً لإدراجها ضمن المناهج التعليمية.

كما تهدف الدراسة أيضاً إلى تعزيز دور الأسرة في حماية الأبناء من أضرار الإعلام، من خلال تزويد الآباء وأولياء الأمور ببعض التوجيهات العملية، التي تساعدهم في مواكبة استهلاك أطفالهم للمضامين الإعلامية، لضمان تجربة إعلامية مفيدة وممتعة وآمنة.

هكذا نحاول في هذه الدراسة اقتراح تعريفنا الخاص للتربية الإعلامية وبيان أهميتها وأسسها،

واستعراض نموذجين من أشهر نماذج التربية الإعلامية التي تقدم توجيهات بيداغوجية وتربوية يمكن للآباء والمعلمين الاستفادة منها؛ وبفضل النموذجين، ندرك التربية الإعلامية باعتبارها ممارسة تربوية تتدرج مع المراحل العمرية وخصائصها النمائية، ويمكن للمربين تنزيل تلك التوجيهات بطرقهم الخاصة.

كما تقدم الدراسة مقترحات عملية، تتوجه إلى الآباء والأمهات وأولياء الأمور عموماً، لمساعدتهم على مواكبة استخدام الأطفال للإعلام التلفزيوني، وجعل ذلك الاستخدام تجربة آمنة ومفيدة. على أساس أن نخصص دراسة أخرى تتوجه تحديداً إلى المدرسين والمعلمين، وتقترح عليهم منهجية لتدريس التربية الإعلامية مع نماذج تطبيقية؛ ثم دراسة ثانية تهتم بتوجيهات استخدام الألعاب الإلكترونية والألواح الإلكترونية والهواتف الذكية والإنترنت، للأطفال والمراهقين.

1- تعريف التربية الإعلامية:

تهتم التربية الإعلامية (Media literacy) بحماية مستهلكي المضامين الإعلامية من بعض التأثيرات السلبية للإعلام، خصوصاً الجمهور «الصغير» من أطفال ومراهقين. وقد كان تأثير البرامج التي تقدم محتويات عنيفة على الأطفال أول ما انتبه إليه المتخصصون، فرصدوا العلاقة بين التعرض لمحتويات إعلامية عنيفة والقيام بسلوكات عنيفة تجاه الآخرين. وهي العلاقة التي اتفق الجميع على وجودها وإدانتها، لكن مع الاختلاف في جزئيات التفسير: هل العنف التلفزيوني هو السبب المباشر للعنف السلوكي؟ أم هو يحفز فقط الاستعداد للعنف الذي يوجد أصلاً عند بعض الأطفال؟ (وين، 1999: 111 إلى 124).

تستجيب التربية الإعلامية لحاجة فعلية وواقعية تتمثل في ضرورة حماية الأفراد من التأثيرات السلبية لبعض المضامين الإعلامية، في عصر أصبحت فيه تكنولوجيا الاتصال تحيط بنا من كل جانب، وتقصفنا في كل لحظة بالعديد من رسائلها الإعلامية. ولعل تنامي الوعي بخطورة الإعلام، هو الذي كان السبب في انعقاد مؤتمر فيينا عام 1999م، تحت شعار: «التربية من أجل عصر الإعلام والتقنية الرقمية». وفي إطار التوصيات التي رفعها المؤتمر إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، اقترح تعريفا مرجعيا للتربية الإعلامية باعتبارها التعامل مع جميع وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، وتمكين الأفراد من فهم رسائلها الإعلامية، وإنتاجها، واختيار الوسائل المناسبة للتعبير عن رسائلهم الخاصة.

وللتربية الإعلامية تعريفات عديدة، من بينها:

- «التربية الإعلامية هي القدرة على أن نفسر بوعي كامل وانتباه المعاني والتأثيرات الإيجابية والسلبية لرسائل وسائل الإعلام التي تواجهنا» (Gamble & Gamble, 2002: 569).

- «التربية الإعلامية هي القدرة على التحليل والوصول إلى وسائل الإعلام والقدرة على إنتاج رسائل وبثها عبر وسائل الإعلام، كما تعني عدم الخوف من التكنولوجيا الحديثة»(McCannon,2002: 323).

ويمكنني أن أقترح تعريفي الخاص التالي: «التربية الإعلامية هي مجموعة من التدخلات المنهجية والمنظمة، ذات الطابع التربوي والتعليمي، التي تهدف إلى إكساب الأفراد مهارات التعرض النقدي الواعي لمضامين وسائل الإعلام والاتصال، من خلال امتلاك مهارات الفهم والتحليل النقدي، والتذوق الجمالي والفني للرسائل الإعلامية؛ ومهارات الاستخدام الآمن والإيجابي لوسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال التي تؤهل الأفراد لإنتاج المضمون الإعلامي أو تداوله».

2- أهمية التربية الإعلامية:

يسود إحساس عام بين الآباء والمربين بالتأثيرات السلبية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال على أبنائهم، وهو إحساس حدسي غير ممنهج علمياً ولكنه إحساس صادق؛ إذ يشتكي أغلب الآباء من طول الوقت الذي يقضيه الأطفال مع التلفاز أو الألواح الذكية مقابل ضعف تحصيلهم الدراسي... بل هناك شبه إجماع على التخوف من

التأثير السلبي لوسائل الاتصال على أطفالهم، لكنك لن تجد من يخبرهم بالطريقة الصحيحة لاستخدام وسائل الإعلام والاتصال، ولا كيف يتابعون أطفالهم، ولا ما هي المهارات اللازم تعليمها لأطفالهم.

بالإضافة إلى ذلك، وأمام الطفرة الكبيرة التي يعرفها الإعلام، وتعدد القنوات والفضائيات، وتنوع وسائل الإعلام والاتصال، يصبح من المستحيل على الآباء إخضاع أبنائهم إلى مراقبة صارمة في كل لحظة وكل مكان؛ لذا يبقى الحل الوحيد هو التربية الإعلامية، التي تؤهل الناشئين للاستخدام الصحيح لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتزودهم بالمهارات اللازمة لامتلاك الحصانة الأخلاقية والمعرفية، وحس التذوق الفني والجمالي.

وقد أورد درويش عبد الرحيم (درويش، 2012: 223-224) مجموعة من العناصر التي تبرز أهمية التربية الإعلامية نقتبسها عنه بتصرف:

1. قيام بعض وسائل الإعلام ببث مواد غير مسؤولة في ظل الحرية التي يحظى بها الإعلام في الفترة الحالية وخصوصاً بعد فتح المجال للإعلام الخاص وانتشار القنوات الفضائية مما قد يؤثر سلباً على الأطفال والشباب. إضافة إلى انتشار بعض الظواهر السلبية في المجتمع مثل تفسخ العلاقات الأسرية والإدمان والتطرف والعنف والجريمة كمؤشرات للمواد الإعلامية التي يتم التعرض لها. وهنا تظهر أهمية التربية الإعلامية في تعليم مهارات التعرض النقدي للمضامين الإعلامية.

2. عدم تنبه بعض الأسر للدور الخطير الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في تنشئة أبنائها وعدم قيام الأسر في الوقت ذاته بمسؤوليتها تجاه الأطفال والمراهقين من خلال الإشراف عليهم ومساعدتهم في اختيار ما يتعرضون له، وذلك في ظل انتشار ظاهرة الثقافة المرئية مما قد يؤثر بالفعل على ثقافة الكلمة المطبوعة وعلى عادة القراءة. وهنا تظهر أهمية التربية الإعلامية في التوجيهات التي تقدمها للأسرة.

3. أهمية التعرض للمضامين الإعلامية المفيدة ونشر التربية الإعلامية في المجتمع كحائط صد يحمي المجتمع من التأثيرات الضارة لبعض وسائل الإعلام.

4. إمداد المواطنين بالقدرة على تحليل مواد وسائل الإعلام وفهمها وإنتاجها، من أجل إنتاج مواد أكثر إفادة تعبر عن وجهات النظر المختلفة لتعزيز الديمقراطية بدلاً من قصر هذا الحق على القادرين مادياً وتكنولوجياً.

5. الحد من العوائق التي تواجه نشر التربية الإعلامية في مجتمعاتنا وتعليم الأفراد إستراتيجيات القيام برد فعل تجاه المواد غير المسؤولة إعلامياً.

3- أسس التربية الإعلامية:

سنحاول أن نبرز أسس التربية الإعلامية من خلال عرض نموذجين رائدين لكل من «جيمس بوتر» (James Potter) وجوزيف تور (Joseph Turow):

3- 1- نموذج جيمس بوتر للتربية الإعلامية:

يعرف جيمس بوتر التربية الإعلامية بكونها: «المنظور الذي نستخدمه بشكل فاعل لتعريض أنفسنا لوسائل الإعلام من أجل تأويل معاني الرسائل التي نتعرض لها. ونقوم ببناء هذا المنظور من أبنية المعرفة. ولبناء أبنيتنا المعرفية، نحتاج إلى أدوات ومواد خام واستعداد. الأدوات هي مهاراتنا، أما المواد الخام فهي المعلومات الواردة من وسائل الإعلام ومن العالم الحقيقي. الاستعداد يأتي من موقفنا الشخصي». (Potter, 2012: 23).

ويعرض «جيمس بوتر» تدرجا «بيداغوجيا» لمراحل التربية الإعلامية من خلال الانتقال من الأساسيات البسيطة إلى المراحل الأكثر تعقيداً، وذلك على النحو التالي: (Potter, 2012: 36-56) .

1. اكتساب الأساسيات:

– معرفة أن هناك آخرين غيرنا، وأن هناك أشياء في الكون غيرنا، وهؤلاء الأفراد يختلفون عنا ويقومون بوظائف مختلفة.

– تعلم المعاني والتعبيرات الخاصة بالوجه والأصوات الطبيعية والتعرف على الأشكال والألوان والحركات والعلاقات بين الأشياء وأماكنها.

– تعلم مفهوم تنظيم الوقت.

2. اكتساب اللغة:

– التعرف على أصوات المتحدثين وربط المعاني ببعضها.

– المقدرة على التحدث بأصوات أو تنغيمات مختلفة طبقاً لكل موقف.

– التوجه إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

– تطوير استجابات سلوكية وعاطفية فيما يتعلق بالموسيقا والأصوات.

– التعرف على شخصيات معينة في وسائل الإعلام المرئية وتتبع حركتها.

3. تعلم السرد أو القص:

– فهم اختلاف الخيال عن الواقع: الإعلانات مقابل التسلية، والواقع مقابل ما يبدو أنه محاولة لمحاكاة الواقع.

– فهم كيفية ربط عناصر الحبكة بالتتابع الزمني أو بنتائج الدوافع والأفعال التي تقوم بها الشخصيات.

4. تنمية جانب الشك:

– التقليل من شأن المزاعم الموجودة بالإعلانات.

– التمييز بين ما نحبه وما لا نحبه في العروض والشخصيات.

– السخرية من بعض الشخصيات أو الاستمتاع بأخرى.

5. التطوير المكثف:

– تنمية دوافع الحصول على المعلومات بشأن مواضيع معينة.

– تطوير المعلومات بخصوص مواضيع محددة.

– تكوين وعي عال بفائدة المعلومات، واستخدام المعلومات المفيدة.

6. الاستكشاف التجريبي:

– السعي إلى الحصول على أشكال مختلفة من المضامين والقصص.

– التركيز على البحث عن ردود أفعال جمالية وأخلاقية وعاطفية ومدهشة.

7. التقدير النقدي:

- قبول الرسائل في صيغتها ثم تقييمها.

- تطوير فهم مفصل للسياق الفني والسياسي والاقتصادي والتاريخي الخاص بتنظيم الرسائل.

- تطوير قدرة المقارنة بين الرسائل المختلفة.

- تطوير قدرة لبناء حكم عام عن جوانب القوة أو الضعف في الرسالة.

8. المسؤولية الاجتماعية:

- تبني موقف أخلاقي تجاه بعض الرسائل التي تكون مفيدة للمجتمع أكثر من غيرها.

- فهم كيف أن قرارات الفرد تؤثر في المجتمع.

- التعرف على بعض المواقف التي يمكن أن يقوم بها الأفراد لإفادة المجتمع.

3- 2- نموذج جوزيف تورو:

يعتبر جوزيف تورو أن التربية الإعلامية تمكن من اكتساب مهارات التفكير النقدي في التعامل مع مختلف وسائل الإعلام، كما تسمح بالكشف عن المعاني الكامنة في المضامين الإعلامية؛ بل يعتبر أن التربية الإعلامية تحول وجهات النظر المختلفة عند الأفراد نتيجة تعرضهم لمضامين إعلامية مختلفة إلى مصدر فكري غني وخلاق.

وإذا كان نموذج جيمس بوتر يمتاز بالتدرج ومراعاة الفئات العمرية المختلفة؛ فإن نموذج جوزيف تورو يمتاز بتنظيمه المنهجي، حيث يميز في نموذجه بين المبادئ الأساسية للتربية الإعلامية، والمهارات التي ينبغي اكتسابها، ثم المواصفات التي يمتلكها الأشخاص في نهاية تكوينهم في مجال التربية الإعلامية.

ونعرض النموذج مع شرح عناصر تورو بـأسلوبنا وذلك على النحو التالي: (Turow, 2003: 26-30)

أ- المبادئ التأسيسية :

- المواد التي تقدمها وسائل الإعلام يتم بناؤها.

يفصل هذا المبدأ بين الواقع الفعلي من جهة، والتقديم الإعلامي لذلك الواقع من جهة ثانية. وذلك حتى يفهم الأفراد أنه ليس كل ما يقدم إعلامياً هو حقيقي وواقع، بل ما يقدمه الإعلام هو جزء من الواقع، وفق وجهة نظر معينة.

- هذه المواد يتم إيداعها وتوزيعها من خلال بيئة تجارية.

إن المضامين الإعلامية تبدع بهدف مضاعفة أرباح المؤسسة الإعلامية وليس لخدمة الجمهور، لذا فإن تقديمها للعديد من المضامين هو تقديم إشهاري وليس موضوعياً؛ وبالتالي لا ينبغي أن ينظر الجمهور إلى الإعلام باعتباره مصدراً للحقيقة والمعرفة اليقينية.

- تقدم وسائل الإعلام موادها وأفكارها من خلال أنواع أساسية: نشرات أخبار، إعلانات، برامج وثائقية، أفلام سينمائية...

لذا ينبغي على الأفراد التمييز بين تلك الأنواع الأساسية، حيث أن لكل نوع منطقه الخاص الذي

يجدر بالفرد امتلاكه، وتنويع مهارات التلقي عنده تبعاً للنوع الإعلامي.

- للمواد التي تقدمها وسائل الإعلام دور في طريقة فهم المجتمع وواقعه.

إذ أن طريقة تقديم وسائل الإعلام لمضامينها تسرب إلينا وجهة نظرها دون أن نعي ذلك، فلا تكون نظرتنا إلى العالم موضوعية ولا تعبر عن وجهة نظرنا الحقيقية، لذا من اللازم امتلاك حس نقدي أمام وسائل الإعلام، وتنويع مصادرنا الإعلامية حتى لا نظل حبيسي توجه واحد.

ب- المهارات:

تشمل المهارات التي يكتسبها الفرد من خلال تمكنه من مبادئ التربية الإعلامية ما يلي:

- فهم القوى التجارية التي تقف خلف مواد وسائل الإعلام.

الانتباه إلى المنطق الربحي لمؤسسات الإعلام، وخضوعها بدورها إلى الشركات التجارية، والتمييز بين المحتوى الإعلاني والمحتوى المحايد.

- الوعي بالطرق التي يمكن للجمهور أن يؤثر بها على إنتاج وتوزيع هذه المواد.

أي القدرة على اتخاذ مواقف مؤثرة في سياسة المؤسسات الإعلامية، من خلال مبادرات جماعية وفردية ذكية. وتحيل هذه القدرة على المواقف الفردية التي ينهجها الأفراد باستقلالية أمام المضامين الإعلامية، بعد أن يمتلكوا مهارات الاستهلاك النقدي؛ كما يمكن أن تنتظم تلك المواقف والمبادرات في شكل جماعي حينما تتبناها إحدى مؤسسات المجتمع المدني (الأهلي).

- القدرة على التفكير من خلال التطبيقات الجمالية لأنشطة مؤسسات وسائل الإعلام.

- تحيل هذه القدرة على التذوق الجمالي للمضامين الإعلامية، وأيضاً على العين الناقدة الواعية، حيث إن التقديم الإعلامي يوظف جمالياته لتعزيز مواقف قد تكون مرفوضة أخلاقياً: ألا نحب جميعنا اللص الذكي الوسيم في الأفلام السنيمائية ونمتعض من الشرطي السمين الكسول؟!

- وعي بالتأثير السياسي الذي يشكل مواد وسائل الإعلام.

تعتبر هذه المهارة امتداداً لمبدأ كون المضامين الإعلامية تبدع في بيئة سياسية، لذا تحيل هذه المهارة على القدرة على الانتباه للتضمينات السياسية في المضامين الإعلامية، والوعي بها للحفاظ على استقلالية رأي المتلقي.

- مقدرة على فحص المضمون السياسي والتجاري والثقافي في مواد وسائل الإعلام.

وهي من القدرات العليا في التربية الإعلامية، حين يستطيع الفرد عزل المعلومة عن كل التوجيهات السياسية والتجارية والإيديولوجية؛ وبالتالي الاستفادة القصوى من المضمون الإعلامي، دون الوقوع تحت تأثيره التوجيهي أو السلبي.

- فهم للمعاني المتضمنة في رسائل الإعلام وأثرها على الفرد والمجتمع.

تحيل هذه القدرة على مهارات التحليل والتأويل التي تمكن الفرد من الانتباه إلى بعض المعاني الخفية أو التأثيرات البعيدة المدى للمضامين الإعلامية على الفرد والمجتمع، في إطار المسؤولية الاجتماعية، التي تجعل الفرد يتفاعل لحماية المجتمع من بعض التأثيرات السلبية للإعلام.

ج- الصفات:

في الختام، وبعد أن يكون الفرد ملماً بالمبادئ الأساسية وممتلكاً لمهارات التربية الإعلامية؛ فإنه يتصف بالصفات التالية:

- ملم بالتأثيرات التي تحكم منتظمات وسائل الإعلام.

- ملم بأحدث القضايا السياسية المتعلقة بوسائل الإعلام.

- حساس بطريقة التعرض لمضمون وسائل الإعلام كوسيلة لمعرفة الثقافة بالمجتمع.

- دراس لموضوعات تتعلق بتأثيرات وسائل الإعلام.

- حساس للأبعاد الجمالية للأنشطة التي تقوم بها وسائل الإعلام.

- قادر على الاستمتاع بالمواد المقدمة في وسائل الإعلام.

6- معيقات التربية الإعلامية:

تصطدم التربية الإعلامية بالعديد من المعيقات التي تجعل فاعليتها محدودة، وتعوق تحقيق أهدافها، ومن بين هذه المعيقات نذكر:

يعتقد الكبار أنهم في مأمن من التأثيرات السلبية للإعلام، وأن الصغار فقط هم المتضررون المحتملون. وهذا الاعتقاد لا يشجعهم على الإقبال على التربية الإعلامية. بل ويجعل الأطفال أكثر عرضة لأضرار الإعلام أمام راشدين هم أنفسهم يجهلون مبادئ التربية الإعلامية وبالتالي لا يستطيعون الإشراف على أطفالهم في هذا المجال.

قوة تأثير الخطاب الإعلامي الذي يخاطب العاطفة والمشاعر ولا وعي المتلقي، مما يصعب على الفرد الانتباه إلى تأثير الإعلام وهو واقع أصلاً تحت تأثيره عاطفياً.

خصوصيات الأفراد واختلاف قدراتهم وشخصياتهم، مما يجعل مهارات وحالات التلقي مختلفة من فرد إلى آخر، لذا وجب تطوير تكوينات مرنة وخلاقة في مجال التربية الإعلامية.

انتظارات الجمهور؛ إذ في العادة يقبل الناس على التلفاز مثلاً بغرض الاسترخاء والمتعة بعد يوم عمل شاق، لذا من الصعب أن نطلب منهم التركيز والانتباه واستخدام العقل النقدي وهم يبحثون أصلاً عن الاسترخاء.

الاستغلال التجاري للجمهور من قبل مؤسسات الإعلام، حيث يوظف الإعلام استراتيجية قوية لجلب الجمهور وجعله دوماً في وضعية تلقٍّ سلبية واسترخاء مما يصعب الاستهلاك النقدي الواعي.

تعدد وسائل الإعلام وتنوعها، مما يجعل منطق التلقي مختلفاً من وسيلة إلى أخرى، فنحتاج مهارات للتلقي التلفزيوني ومهارات لتلقي الإعلام المقروء، ومهارات للتعامل مع الهواتف الذكية..

تصمم المضامين الإعلامية أصلاً للكبار، مما يضاعف خطرها على الصغار الذين عادة ما يجلسون إلى جانب الكبار أثناء مشاهدة التلفاز مثلاً.

7- دور الأسرة في التربية الإعلامية: توجيهات عملية:

رغم أننا نطمح إلى إدماج التربية الإعلامية في مناهج التعليم في العالم العربي، وهذا سيكون تأثيره عظيماً على الأطفال والشباب؛ إلا أن دور الأسرة يبقى أساسياً في تمكين الأطفال من مهارات

التربية الإعلامية. لذا نقدم أسفله بعض الاقتراحات العملية التي تساعد الآباء والأمهات على حماية أطفالهم من أخطار التلفاز.

وينبغي التنبيه إلى مسألة القدوة في التربية الإعلامية، لأن جميع مبادئ التربية الإعلامية الأسرية ستصبح عديمة الجدوى إذا لم يلحظ الصغار التزام الكبار بها. وفيما يلي بعض الإجراءات الأساسية التي في متناول الآباء والمربين القيام بها، ومعظم هذه التوجيهات من اقتراح الكاتب، وبعضها مقتبس عن درويش عبد الرحيم (درويش، 2012: 258-266) مع التصرف فيها وإضافة الشروح والأمثلة المناسبة:

1- ترتيب المنزل ليكون بيئة إعلامية إيجابية:

تعتبر هذه من أهم الخطوات التي ينبغي على الآباء الالتزام بها، بحيث ينبغي تجنب وضع أجهزة الإعلام والاتصال (تلفاز، حاسوب...) في أماكن معزولة مثل غرف الأطفال، أو زوايا جانبية داخل البيت، بل ينبغي أن توضع في أماكن مفتوحة ومشتركة لتسهل عملية المراقبة بشكل تلقائي وسلس؛ مثل غرفة الجلوس المفتوحة التي تضمن المشاهدة الجماعية للتلفزيون، والتي بمقدور الأب أو الأم دخولها تلقائياً وتعرف ما يشاهده أطفالهم دون أن يحس الأطفال أنهم محل مراقبة أو عدم ثقة من آبائهم.

لأن وضع التلفزيون في غرفة الأطفال قد يشجعهم على تغيير القنوات ومشاهدة بعض المحتويات التي لا تناسب أعمارهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن البرامج الموجهة إلى الأطفال قد تتضمن أحياناً بعض المضامين غير التربوية، لذا فإنه من المفيد أن تكون عملية المشاهدة تحت إشراف الكبار.

2- وضع قواعد عادلة وواضحة بشأن مشاهدة التلفاز لكل أفراد الأسرة:

يستحسن أن تجتمع الأسرة في جلسة عائلية دافئة لتناقش جدولاً زمنياً لتنظيم المشاهدة، هدفه توزيع أوقات المشاهدة بشكل ديموقراطي، بحيث يقترح كل فرد البرامج التي يفضلها ويتم توزيع زمن المشاهدة بشكل عادل، ومن المفيد جداً إشراك الأطفال في هذه العملية، بحيث يقترحون برامجهم المفضلة، وكذلك المواعيد التي تناسبهم؛ وهنا يوجههم الآباء بلطف إلى ضرورة مراعاة أوقات الدراسة والنوم وغيرها من الضوابط. والغرض من هذه العملية، هو أن يدرك الأطفال أن لكل فرد تفضيلاته في المشاهدة، وأن عليهم الاكتفاء بحصة مشاهدة مناسبة بدل احتكار التلفاز طيلة اليوم. كما أن إشراك الأطفال في عملية الاختيار يضمن أيضاً التزامهم بالاتفاق الذي سيجسد حاجياتهم.

وننبه إلى ضرورة إدراج فقرة للمشاهدة الجماعية خصوصاً في المساء، حيث يشاهد أفراد الأسرة التلفاز معاً، مع إثارة بعض النقاشات التي سنشير إليها أسفله.

3- تشجيع المشاهدة النقدية والنشطة للتلفاز والمناقشات الأسرية بشأنها:

ينبغي أن تكون المشاهدة عملية نشيطة وتفاعلية، بحيث تتخللها التعليقات والأسئلة والمناقشات من الآباء والأمهات بداية، حتى يتعود الأطفال عليها وتصبح عادة ملازمة لهم. وهنا يبرز دور الآباء في تعويد الأبناء على المشاهدة النقدية؛ فعلى سبيل المثال، إذا لاحظ الأب أحد الشخصيات يدلي بتصريح كاذب، فينبغي أن يتساءل أمام أطفاله وكأنه لا يعرف: هل صحيح ما يقوله فلان؟ حينها سيبادر الأطفال بتصحيح الأمر. ليرسخ عندهم الأب القيمة: «إذا فلان كان يكذب!».. وإذا لاحظت الأم سلوكاً سلبياً، تتساءل: هل ينبغي أن نتصرف هكذا؟ ثم تسأل أطفالها عن السلوك الصحيح. ومع التعود، سيمتلك الأطفال عيناً ناقدة بحيث لا تمر المشاهد التي تتعارض مع الأخلاق وقيم المجتمع دون نقد منهم أو تنبيه إليها، كما سيدركون أنه ليس كل ما يقدمه التلفاز صحيح أو جيد، أو صالح للتقليد.

وينبغي على الآباء والأمهات أيضاً تثمين المشاهد الإيجابية والتأكيد عليها وإبداء الإعجاب

بها، سواء تعلق الأمر بالمواقف الأخلاقية السامية، أو بالجماليات المتمثلة في حسن تصوير المشهد، واستخدام الصور الجميلة والموسيقى التصويرية الراقية والمناسبة لمضمون المشهد؛ مما يعزز ملكة الذوق الجمالي عند الأطفال.

ويمكن للأسرة تشجيع المناقشات الأسرية عن المضامين التلفزيونية من خلال نظام تحفيزات يبتكره الآباء، ومن خلال بناء العلاقة الأسرية على التواصل الطيب وتشجيع الأطفال على التعبير عن أنفسهم، وتمرير الإحساس بالفخر إلى الأطفال والمراهقين لكونهم يمتلكون مهارات التحليل والنقد.

بعد المشاهدة، أقترح على الآباء القيام بما يلي:

- إدارة مناقشات خفيفة حول مضمون المشاهدة.

- تمرير تثمينات أو تبخيسات لمضامين أخلاقية جرى تمريرها في المادة الإعلامية، للتأكد من إدراكها الواعي من قبل الأطفال.

- منح الفرصة للأطفال ليقدموا تقييمهم لما شاهدوه، مع تشجيعهم على الحس النقدي.

- من حين لآخر، إطفاء جهاز التلفاز قبيل نهاية الفيلم، وتنظيم مسابقة بين الأبناء لاقتراح سيناريوهات ممكنة لنهاية الفيلم.

4- فهم الحاجات الخاصة بنمو الأطفال والمراهقين في المراحل المختلفة:

توصي الجمعية الأمريكية لطب الأطفال الآباء بعدم السماح للأطفال بالتعرض لوسائل الإعلام قبل عمر سنتين، بغض النظر عن مضمون المشاهدة، وبعد عمر السنتين يحتاج الأطفال إلى تغليب اللعب والاندماج مع باقي أفراد الأسرة؟ (وين، 1999). لكن من الأخطاء الشائعة التي قد ترتكبها الأمهات، استخدام التلفاز وسيلةً لإلهاء الأطفال: فأمام كثرة الأعباء والمسؤوليات المنزلية، ونظراً لبكاء الأطفال المتواصل وتمسكهم بوجود الأمهات إلى جانبهم؛ تجد الأم نفسها مضطرة إلى وضع الطفل أمام قناة رسوم متحركة أو قناة أناشيد... ليهدأ الصراخ، وتتفرغ الأم لأعباء البيت. كما يسود الاعتقاد عند البعض، بأن مشاهدة التلفاز تساعد الصغار أكثر على تعلم اللغة العربية الفصحى، أو اللغات عموماً، فما مدى صحة هذا الاعتقاد؟

من المعلوم أن الدماغ البشري -وقشرته تحديداً- ينقسم إلى نصفين يتحكم كل واحد منهما في حركات الجانب المقابل من الجسم، لكن أهم فرق بين النصفين يتعلق بتحكم الدماغ في المادة اللفظية وغير اللفظية: فنصف الدماغ الأيسر يدير معظم أنشطة الدماغ اللغوية والمنطقية، بينما ترتبط وظائف النصف الأيمن بالأنشطة المكانية والبصرية وربما الوجدانية. غير أنّ هذا التمييز الصارم بين وظائف النصفين لا يولد مع الطفل، بل يبدأ في الترسيخ تدريجياً مع نموه؛ إذ يبدأ باستخدام شكل غير لفظي من التفكير يُعينه على تمييز الوجوه. لكن مع نمو اللغة يبدأ الدماغ في التخصص وتنطلق رحلة التطور العقلي للطفل. غير أن كثرة مشاهدة التلفاز، تمثل شكلاً من الإثارة الزائدة لنصف الدماغ الأيمن، بوصف المشاهدة نشاطاً بصرياً، مما يؤدي إلى اختلال التوازن بين وظائف نصفي الدماغ، والذي يترجم بتراجع المهارات والقدرات اللغوية لجيل التلفزيون.

ولتوضيح هذا الأمر، نشبه هذه العملية برياضي يمارس كمال الأجسام، لكنه يمارس تمارينه على الذراع اليمنى تحديداً دون اليسرى، فلنتخيل شكل ذراعيه بعد مدة معينة: الأولى ضخمة مفتولة العضلات، والثانية نحيلة ومترهلة. الأمر نفسه سيحدث لأطفالنا: ستتطور قدراتهم البصرية بشكل كبير، لكن في المقابل قد يعاني النصف الأيسر من دماغهم من الخمول الذي قد ينعكس سلباً على قدراتهم اللغوية والمنطقية (تعلم الرياضيات مثلاً) رغم بعض الكلمات الجديدة التي قد يتعلمونها.

وقد أحببت الحديث عن نمو الدماغ، لتصحيح تصور سائد عند أغلب الناس، ومفاده أن أضرار التلفزيون على الأطفال تتحدد فقط في المشاهد الإباحية ومشاهد العنف، وما دمنا نضبط محتوى المشاهدة فلا ضرر عليهم.

وعموماً، ينبغي على الآباء مواكبة نمو أطفالهم ونضجهم التدريجي، وتفهمه من حيث تغير تفضيلات المشاهدة عند الأطفال، حيث يبدأ الأطفال بعد سن الثالثة في تقليد الشخصيات التي يحبونها، وهم لا يميزون بين الواقع والخيال، فيتصورون أن أبطال الكرتون يطيرون فعلاً أو يطلقون أشعة الليزر فعلاً من أعينهم.. وفي هذا النزوع نحو التقليد خطورة على الأطفال، حيث قد يقومون بسلوكات خطيرة؛ لذا على الأمهات والآباء الانتباه إلى سلوكاتهم في هذه المرحلة والحرص على تأمين المكان الذي يضعون فيه أطفالهم.

ونوصي في الأخير بألا تتجاوز مدة المشاهدة اليومية نصف ساعة قبل الخامسة، وساعة واحدة يومياً إلى حدود سن العاشرة.

5- بناء نظام قيمي خاص بالأطفال:

أشرنا في بداية الدراسة إلى أن الإعلام عموماً أصبح من بين أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية؛ وفي أحيان كثيرة يكون هناك تعارض كبير بين القيم التي يحرص الآباء على تربية أبنائهم عليها، وبين ما يروج له التلفاز من قيم. ومن الراجح أن تكون الغلبة للتلفاز، لما يتمتع به خطابه من جاذبية ومخاطبة للجانب العاطفي، مقابل صرامة خطاب الآباء وصفة الإلزام والسلطوية التي يقدم من خلالها في العادة.

لذا يجب على الأسرة أن تربي الأطفال على نظام قيمي متماسك يتصف بأربع مواصفات أساسية:

- أولها الاتساق، فيكون نظاماً قيمياً منسجماً وثابتاً، بحيث لا يكون هناك تعارض بين بعض القيم، مثل حث الأطفال على التعاون، وفي نفس الوقت تكريس الأنانية وإعلاء التفوق الفردي دون حدود؛ مع ضرورة أن تكون تلك القيم ثابتة ولا تُفعَّل فقط في مواقف محددة، مثل دعوة الأطفال إلى الصدق، والكذب أمامهم في بعض الأحيان.

- وثانيها الأمان، فيكون نظام القيم قادراً على حماية الطفل نفسياً وعملياً. وهذه علمية معقدة جداً، وتتطلب من الآباء الكثير من الفطنة، واعتماد التواصل والحوار وسيلة أساسية في متابعة أطفالهم؛ إذ نجد معظم الآباء يحثون أطفالهم على الصدق، لكن في أول خصام بين الطفل وزميله في المدرسة، يكذب الزميل على المعلم، مدعياً أنه ضحية لاعتداء الطفل، مما يعرض الطفل للعقوبة أو التأنيب. حينها سيجد الطفل أن الصدق غير مُنجٍ في الواقع ولا يضمن له الأمان. لذا فالآباء مدعوون إلى تعويد أطفالهم على مصارحتهم بمشاكلهم ومخاوفهم وآمالهم حتى يتمكنوا من التدخل في وقت مناسب، لتصحيح المفاهيم والتصورات، وتعزيز القيم لديهم.

- وثالثها التعزيز، أي الحرص على أن يكون نظام القيم الأسري مغرياً للأطفال ويمتلك عناصر جاذبية مهمة، ونظام «مكافآت» يشجع الأطفال على الالتزام به، من خلال مكافأة الأطفال بصيغ مختلفة على تمسكهم بتلك القيم.

- ورابعها الاستجابة، أي أنه نظام قيم متاح باستمرار للطفل في جميع حالاته؛ يوفر القيم التي يحتاجها الطفل فعلياً في الحياة الواقعية.

6- مراقبة ما يشاهده الأبناء ولو كانت رسوما متحركة.. وفرض رقابة على المضامين السلبية:

من المهم جداً أن يجد الآباء والأمهات الوقت للجلوس إلى جانب أطفالهم ومشاهدة ما يشاهدونه،

خصوصاً أفلام الكرتون (الرسوم المتحركة) التي يعتقد الآباء أنها آمنة. وذلك ليستطيع الآباء منع مشاهدة البرامج المضرة على أطفالهم أو حتى تلك التي لا تناسب فئتهم العمرية. بالإضافة إلى مد الأطفال بمضامين مناسبة، ولا مانع من أن تسجل الأسرة مسبقاً بعض البرامج التي سيتم التعرض لها، وسيفيد هذا في إمكانية إيقاف البرنامج لإجراء مناقشة، وحماية الأطفال من الإعلانات.

ومن التمثلات الخاطئة عند الآباء والأمهات، أن كل أفلام الكرتون آمنة وملائمة للأطفال، في حين يثير بعضها إشكالات تربوية حقيقية. ومن وحي خبرتي الأكاديمية، وخبرتي كأب يتابع أبناءه؛ فقد وجدت أن بعض أفلام الكرتون لا تناسب الثقافة العربية، وتمرر بعض التصورات والقيم حول الأسرة ومكانة الوالدين ونمط العيش عموماً لا تناسب الأسرة العربية ولا تصلح نموذجاً تربوياً، مثل سلسلة «عالم غامبول المدهش»، وهو مسلسل كرتوني من أصل أمريكي بريطاني، يُعرض على قناة «كرتون نتوورك بالعربية»، بطله قط يدعى غامبول (12 سنة)، والمسلسل أصلاً موجه إلى الأطفال فوق سن السابعة (وهو ما لا يدركه معظم الآباء)، ويحتاج إلى توجيه ومرافقة من أحد الوالدين أثناء المشاهدة. وشخصياً أفضل تجنيب الأطفال مشاهدته، لأنه يتعارض بشكل كبير مع قيم المجتمع العربي؛ إذ يقدم المسلسل الأب مثلاً كشخص كسول، وخامل، وغير قادر على تحمل مسؤولية الأسرة. كما يعرض المسلسل الكثير من المشاهد المبتذلة التي لا تناسب ذوق الأطفال.

ومن مسلسلات الكرتون الظريفة مسلسل «يحيا أنجلو»، وهو مسلسل فرنسي، بطله الطفل أنجلو (12 سنة)، ويعرض على قناة «كرتون نتوورك بالعربية». والمسلسل محبب حتى للكبار، تدور أحداثه حول الطفل الظريف أنجلو الذي يحتال في كل مرة يصادفه فيها مشكل ما، فينجح غالباً في تخطيه من خلال سلسلة من الألعيب والأكاذيب الذكية، وبفضل مساعدة صديقيه. غير أن المشكل يكمن في أن الاستراتيجية الأساسية التي يتبعها أنجلو في كل حلقة تقوم على الكذب أساساً! وهو الكذب الذي يقدم بشكل محبب وظريف، بوصفه مفتاحاً سحرياً لحل جميع المشاكل، فكيف ندعو الأطفال تربوياً إلى الصدق وتجنب الكذب؛ ثم ندعهم مع «أنجلو» الذي يقدم لهم في كل حلقة كذباً «حلواً» ظريفاً، وفعالاً في إنقاذ صاحبه وحل مشاكله.

ومن النماذج الإيجابية لقنوات الأطفال، قناة ماجد الإماراتية، والتي تعرض عموماً محتويات ملائمة.

ويُنصح الآباء بترتيب قنوات التلفاز بجمع قنوات الأطفال بشكل متوال، ومرقمة ما بين 1 و9، حتى يستطيع الأطفال التنقل بينها بسهولة، دون أن يضطروا إلى البحث بأنفُسهم عن قنوات جديدة قد تكون غير مناسبة.

7- منح التلفاز مكانته الطبيعية باعتباره مجرد وسيلة ترفيه:

قد لا ينتبه بعض الآباء والأمهات إلى أنهم يجعلون ارتباط أطفالهم كبيراً بجهاز التلفاز من خلال بعض التصرفات البسيطة التي قد تصدر عنهم ولا يتعمدونها في الغالب: فحينما يستخدم الآباء والأمهات التلفاز كوسيلة للمكافأة أو العقاب، فهم يجعلون الأطفال يدركون التلفاز كأمر مهم وأساسي، مهما تحدثنا معهم لاحقاً بخلاف ذلك.. لذا يستحسن تجنب مكافأة الأطفال بتخصيص وقت أطول للمشاهدة أو عِقابهم بحرمانهم من المشاهدة إذا صدرت عنهم سلوكات تستوجب العقاب.

وفي نفس السياق، يُفضل تجنب الأكل أمام التلفاز، مع احترام مواعيد الوجبات وإطفاء التلفاز للقيام نحو غرفة الطعام؛ والكبار مدعوون لتكريس هذه العادة الإيجابية بالقدوة، حتى يتعامل الأطفال مع التلفاز باعتباره وسيلة ترفيه في أوقات الفراغ فقط.

كما ينبغي على أولياء الأمور الانتباه إلى أهمية اللعب الحركي، خصوصاً الجماعي منه مع الأقران،

والحرص على تمكين الأطفال منه؛ فمتعته أكبر من مشاهدة التلفاز.

وأعتبر أن التوازن الحقيقي يتحقق بأمرين اثنين: اللعب الحركي، وتشجيع الأطفال على القراءة، بدءاً من الطفولة المبكرة، حينما يمسك الأب أو الأم القصة بين يديه ويشرع في حكي القصص للصغار، فيربط الصغار بين المتعة التي يشعرون بها (وحب القصص أمر فطري عند الطفل) وبين تلك الأداة العجيبة مصدر المتعة: الكتاب. وعموماً، فإن القارئ النهم يملك قدراً كبيراً من الحصانة ضد أضرار التلفاز، كما أن المدمن على التلفاز من الصعب أن يصبح قارئاً نشيطاً! وقد توصلت في دراسة سابقة إلى أن كلًا من القراءة ومشاهدة التلفاز يقدمان نموذجين متعارضين لإدراك العالم، بحيث أنني لن أبالغ إذا اعتبرت أن علاج أضرار التلفاز يكمن في الإقبال على القراءة. (المكي، 2010)

خاتمة:

أصبح الواقع يفرض على الآباء والأمهات تعميق معرفتهم بأساسيات التربية الإعلامية، مثلما يعرفون أساسيات العناية الصحية والأخلاقية بأطفالهم. لأن التربية الإعلامية أصبحت بقوة الواقع مكوناً أساسياً من مكونات تربية الأبناء. لكن في مقابل ذلك، لا يصادف أولياء الأمور الحملات التحسيسية التي تنبههم إلى أهمية ذلك، ولا التدريبات أو الكتب التي تزودهم بالنصائح المفيدة. لذا تعتبر هذه الدراسة مساهمة في هذا الاتجاه، ومساهمة أيضاً في إثارة النقاش المجتمعي حول إدراج التربية التعليمية مادةً دراسية أساسية في مناهجنا التعليمية.

المراجع

أولاً : المراجع العربية:

درويش، عبد الرحيم (2012). مقدمة *إلى علم الاتصال*. ط 1، القاهرة: عالم الكتب.

المكي، هشام (2010). بين الصورة واللغة: هل أصبحت الحياة طقساً ثابتاً للمحاكاة؟ *مجلة إسلامية المعرفة*،59: 119-140.

وين، ماري (1999). *الأطفال والإدمان التلفزيوني*. ترجمة: عبد الفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 247.

ثانياً : المراجع الأجنبية:

- Gamble, T. K, and Gamble M., (2002) *Communication Work*, 7th ed, New York: Mc Graw-Hill Companies.

- McCannon, B. (2002), Media Literacy: What? Why? How; in Victor C. Strasburger, B. J. W., and Amy B. Jordan, *Children, Adolescents, and the Media*, (Thousand Oaks Calif: Sage Publications)

- Potter, W. James (2012), *Media Literacy*, (London: Sage Publication, 6th ed).

- Turow, Joseph (2003), Media Today : *An Introduction to Mass Communication,* (Boston: Houghton Mifflin Company, 2nd edition).